جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية



الرد علي الفلاسفة والمعتزلة والاتحادية
في كلام الله

إعداد الدكتورة

سعاد بنت محمد السويد

وكالة الدراسات العليا والبحث العلمي - كلية الآداب - قسم الدراسات الإسلامية - جامعة الأميرة نور بنت عبد الرحمن
المملكة العربية السعودية

المقدمة

إنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَتُوبُ إِلَيْه، ونعوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مضلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهدُ أن لاَ إِلَهَ إلا اللَّهُ وَحدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهدُ أَنَّ مُحمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُه. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)} [سورة آل عمران:١٠٢]، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)} [سورة النساء:١].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)} [سورة الأحزاب:٧٠-٧١]

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الكَلامِ كَلامُ اللَّه، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَة.

الحمد لله الذي ينصر رسله، والذين امنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد، تعالى ربنا عن صفات المحدودين وتقدس عن شبه المخلوقين وتنزه عن مقالة المعطلين، والحمد لله ان من علينا بالإيمان بجميع صفاته التي اثبتها لنفسه في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه (ﷺ)، وسرنا على نهج سلفنا الصالح في اثباتها من غير تشبيه ولا تاويل ولاتمثيل ولا تعطيل، ولكن هناك من عطلها واولها واورد الشبهه في ذلك وخاصة صفة كلام الله، ولأهمية هذا الموضوع اردت ان افرده بدراسة عقدية تتكلم في ابراز شبههم والرد عليهم

لبيان سائلاً سألة الله أن ييسر لي الإيضاح ونقض أقوالهم إنه ولي ذلك والقادر عليه.

اسباب البحث في هذا الموضوع:

١. اهمية البحث في ذات الله وخاصة الصفات الاختيارية، وارد على المخالفين فيها فالصفات الالهية تغيظ الجهمية؛ لذلك اتفقوا بجميع درجاتهم على تعطيلها.
٢. الاستفادة من هذه المادة العلمية في تدريس طالبات البكالوريوس والدراسات العليا.

الخطة العامة في البحث:

جعلت البحث في **مقدمة، وتمهيد، وثلاث مباحث، وخاتمة، وفهارس للمراجع، وفهارس للموضوعات.**

المقدمة: وفيها اهمية الموضوع، واسباب اختياره وخطة البحث.

التمهيد: وفيه بيان أصل النزاع في كلام الله (ﷻ).

المبحث الاول: الفلاسفة وفيه مطالب

المبحث الثاني: المعتزلة وفيه مطالب.

المبحث الثالث: الإتحادية.

الخاتمة: وفيها دعوة ورجاء.

فهارس المراجع.

فهارس الآيات.

وقد سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي، وقمت بكل ما يتطلبه البحث من تخريج للآيات والاحاديث دون التطرق لترجمة الاعلام.

وبعد، هذا جهد مقل أقدمه، فإن اصبت فمن الله وهو المحمود على إحسانه وتوفيقه، وان اخطأت فمن نفسي المقصرة والشيطان، والله اعلم وصلى الله على من لا نبي بعده.

أقوال: الفلاسفة، والمعتزلة، والاتحادية في كلام الله تعالى والرد عليهم

المبحث الأول: الفلاسفة

المبحث الثاني: المعتزلة

المبحث الثالث: الاتحادية

تمهيد

قبل أن نبدأ في شرح الأقوال ينبغي لنا أن نعرف قضية مهمة، أن أصل الضلالات، في باب الأسماء والصفات، أن المتكلمين وأولهم المعتزلة أرادوا أن يستدلوا على وجود الله (ﷻ) وجعلوا قضية وجود الله هي القضية المتنازع فيها مع أنها لم تكن على الإطلاق في القرآن محل النزاع والخلاف بين الأنبياء وأممهم، وإنما النزاع في قضية الألوهية هل هي لله وحده؟ أم له مع غيره؟ أم لغيره من دونه؟

فأرادوا أن يستدلوا على وجود الله بالطريقة الفلسفية اليونانية وفي هذه المسألة كان علماء اليونان وعلماء الإغريق ومن اتبعهم من الصابئة وعلماء المجوس وأمثالهم على رأيين.

الرأي الأول: أن هذا العالم قديم، بمعنى: أن هذا العالم وهذا الكون أزلي لا أول لوجوده، أي جاء بنفسه هكذا يقولون: إنه خلق من غير شيء وهذا القول للذين ينكرون وجود الله تبارك وتعالى.

وقد رد عليهم فلاسفة اليونان وعلماء الإغريق والصابئة وآخرون منهم فقالوا: إن لهذا العالم خالقا سموه واجب الوجود، أو ما أشبه ذلك. وواجب الوجود موجود، وهذا العالم حادث، فواجب الوجود قديم لا أول لوجوده، وأما الكون والعالم، فهو حادث لوجوده أول، وأغلبهم يميل إلى أنه نشأ عنه كما تنشأ العلة عن المعلول، أي: أن النسبة بينهما مثل نسبة السبب إلى المسبب أو العلة إلى المعلول، أي: ليس له إرادة وليس له صفات أوجدت هكذا.

هذا هو مذهب الأكثرين من هؤلاء الفلاسفة الذين يثبتون وجود الله؛ لكنهم يريدون أن يثبتوا وجود الله، فأثبتوه علة تامة اقتضت معلولها وهو الكون، ولما أرادوا أن يبطلوا قول القائلين بأن العالم قديم وأزلي، قالوا لهم: الدليل على أن

العالم حادث بعد أن لم يكن هو: أن الأعراض تلحق بهذا العالم، فالشمس تطلــع وتغيب كما هو مشاهد، وتكون الصحة والمرض، وتكــون الألــوان والطعــوم والروائح والأشياء المختلفة، فالتغير والأعراض التي تطرأ شيئا بعد شيء على المخلوقات -كما يقول هؤلاء- دليل على أنها حادثة، وعلى أنها ليست قديمــة؛ لأن القديم الموجود وجودا أزليا لا يمكن أن يلحق، وأن يطرأ عليــه التغييــر، هكذا قالت الفلاسفة

فلما جاء المتكلمون وجاء المعتزلة وترجموا كتب أولئك مالوا مــع القــول الذي يثبت وجود الله؛ لأن هؤلاء ليسوا منكرين لوجود الله، فأخذوه وأخذوا أدلة أولئك بأن الله (ﷻ) موجود، وأن الكون حادث، وإن كانوا لا يقولون: مخلــوق وخالق، وإنما يقولون: هو حادث وأزلي وقديم فقط، فقال لهم المتكلمون: نحــن نستدل على أن هذا الكون حادث بأنه تطرأ عليه الأعراض والتغيرات عــرض بعد عرض وحال بعد حال فهذا دليل على أن الكون غير قديم بل هو مخلــوق، فلما جاءوا يطبقون هذا على صفات الله (ﷻ) وقع الخلاف.

فالفلاسفة الذين يثبتون وجود الله يثبتون أنه علة تامة، ولا يــصفونه بــأي صفة ثبوتية وجودية، وإنما يصفونه بالسلوب والإضافات.

يقولون: ليس بجاهل، ولا ظالم، ولا ذليل، ولا يصفونه بأنه عــالم حكــم عدل عزيز، فلما انتقلت هذه إلى المسلمين من المعتزلة وأمثالهم جاءوا فــأرادوا أيضا أن يأخذوا نفس الشيء لئلا ينتقض عليهم أصلهم؛ لأنهم قالوا: إن ما تقــوم به الأعراض والأحوال، وتحل به الحوادث - كما يسمونها- لا يمكن أن يكــون قديما، وأزليا لا أول لوجوده وإنما هو حادث، ويقرؤون في كتــاب الله (ﷻ) أن الله (ﷻ) يتكلم متى شاء، وأنه يغضب، ويرضى، ويريــد، ويــشاء، ويختــار، ويخلق، وفي الحديث الصحيح أنه ينزل، وأمثال ذلك.

فقالوا: هذه حوادث وأعراض وأحوال، فإذا قلنا: إن الحوادث والأعـراض تحل بالله فهو حادث وليس بقديم؛ إذا ليس هناك دليل لدينا على أن نثبت وجـود الله، فأصبحنا كأننا ننفي وجود الله، فصاروا بين نارين:

إما أن يلتزموا القول: بأن هذه فعلا حوادث وأعراض تقوم بالله (تعالى) فهو حادث مثل سائر الحوادث والعياذ بالله.

وإما أن يقولوا: لا تقوم به هذه الحوادث، والأعراض وينفون عنـه هـذه الصفات، فيكون إذا قديماً وأزلياً.

فاختار المعتزلة والمتكلمون القول الثاني، وقالوا: نجـرده مـن الـصفات، ونثبت وجوده، وأنه خالق هذا الكون خير من أن نجعل لـه صـفات كمـا أن للمخلوقين صفات فإذا قلنا: إن البشر يغضب، ويرضى، وينزل، ويتكلم، وهـذه أعراض وحالات وحوادث تحدث في كل إنسان، وقلنا: إن الله يـتكلم، وينـزل، ويغضب، ويرضى وهذه هي نفس الأعراض والأحوال.

إذا: لابد أن ننفيها عن الله (ﻷ) فنفـوا صـفات الله (تعالى) ليوافقـوا قـول الفلاسفة المثبتين لوجوده، أي: المثبتين بأن الكون حادث وليس بقديم فكانت أهم وأبرز صفة ظهرت في أثناء النقاش والجدال والمعركة الجدليـة هـي صـفة الكلام، وكما ذكرنا أن للنصارى دورا في إثارة هذه القضية؛ لأنهـم يقولـون: عيسى كلمة الله –كما يقول بعضهم– ومنهم من يقـول: إن الكلمـة مخلوقـة، وبعضهم يقول: لا! إنه كلمة الله ولكنه إله مثل الله، أي: ذات مـستقلة، فالآلهـة الثلاثة لكل منها ذات مستقلة.

فهؤلاء قالوا: إذا قلنا: إن القرآن كلام الله أيـضا، وقلنـا: إنـه لـيس بمخلوق، فيلزمنا أن يكون ذاتا مستقلة؛ لأنهم لا يفهمون من الـصفة إلا أمـرا عينيا متعينا موجودا، وليس صفة تقوم بشيء موصوف، فيثبتون الذات على أنها لا صفة لها، ويثبتون الصفات على أنها ذوات مستقلة منفصلة.

فإذا قلنا: إن لله تسعة وتسعين اسما، فإنهم يتصورون أنها تسعة وتسعين ذات منفصلة مستقلة، وهكذا نظرت النصارى والعياذ بالله إلى أن الآلهة ثلاثة منفصلة مستقلة، وهي في نفس الوقت واحدة.

فحصل من هذا وهذا أن نشأت قضية الجدل في صفة الكلام فقالوا: إن كان الله (ﷻ) لم يكن متكلما ثم تكلم، فقد حلت به الحوادث -هكذا رأت عقولهم والعياذ بالله- وما كان محلا للحوادث فهو حادث.

وإذا قلنا لهم: إن الآيات والأحاديث في كلام الله (تعالى) أنه كلم الملائكة قبل أن يخلق آدم وكلم آدم وكلم موسى وهذا كله كلام الله.

قالوا: لا، هذه مخلوقات أي أن القرآن مخلوق خلقه الله.

وقالوا: إنما قلنا ذلك حتى ننزه الله أن يكون محلا للحوادث فننفي عنه الكلام مع أن الله (تعالى) قد بين لنا في بيان أجلى وأوضح من الشمس أنه (تعالى): ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٤٢﴾ ﴾[سورة البقرة:١٤٢] ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى:١١] وكان على هذا البيان النبي (ﷺ) والصحابة رضوان الله عليهم، فليس كلامه ونظره ورضاه ورحمته ونزوله كنظر المخلوقين ورضاهم ورحمتهم ونزولهم ليس كمثله شيء أبدا، ولم يكن له كفوا أحد أبدا.

وإذا أثبتنا لله (تعالى) ما أثبته لنفسه، فإننا لا نثبت له ما هو في حق المخلوقات من الأعراض، أو الحوادث، أو الأحوال، أو التغيرات، ومن فهم ذلك فإنما الفساد جاءه من قبل عقله وفهمه، وليس من نصوص الكتاب والسنة أبدا بالإضافة إلى أن أصل قضية إثبات وجود الله بهذه الطريقة التي سلكوها

نحن في غنى عنها وعن استيراد كتب الفلسفة وترجمتها وفي غنى عن الرد على الفلاسفة المنكرين لوجود الله بالرد على منهج الفلاسفة الذين يثبتونه علة تامة لا صفات لها على الإطلاق، كل هذا الكلام نحن في غنى عنه لأن الله (ﷻ) قد بعث محمدا (ﷺ) بالنور وبالهدى التام المستبين.

وكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية وقرره غيره من العلماء أيضا: إن نفس أمة اليونان الدولة الرومية عموما واليونان خاصة كانوا على دين الفلسفة وعلى الشرك حتى دخلت عليهم النصرانية المنحرفة سنة ٣٢٥م فانتقلوا من الشرك ومن الوثنية الفلسفية إلى النصرانية، وهي على ما فيها من الشرك إلا أنها أفضل وأنسب حالا لأن فيها آثارا من كلام النبوة، أو آثارا من الوحي الرباني، فانتقلوا من ذلك إلى ما هو أحسن حالا وجاء الإسلام وأنزل الله (ﷻ) على محمد (ﷺ) الفرقان الواضح فقضى على الأديان وأبطلها سواء النصرانية أو غيرها، وإن كانت أفضل من الفلسفة اليونانية إلا أنها كفر وشرك([1]).

وكل من دان بها بعد بعثة النبي (ﷺ)، فهو كافر كما هو في الكتاب والسنة ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾[آل عمران:١٩]، وفي قوله (ﷺ): **(والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار)** فلا يقبل الله غير هذا الدين فكيف ينتكس ويرجع هؤلاء المتكلمون وغيرهم إلى ما كان عليه هؤلاء المشركون.

هذا هو غاية ما يريد هؤلاء الناس أن يقولوه أو يدعو إليه، أما نحن فنبطل هذه القضايا جميعا لأن لدينا – ولله الحمد– المنهج والبرهان الواضح، فلا حاجة بنا إلى الخوض في مسألة وجود الله على طريقتهم، ولا حاجة بنا إلى ترجمة

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (٣٦٨/١٠).

كلامهم، ولا حاجة للمسلمين إلى الاستعانة بكلام المثبتين منهم ضد النفاة، فنحن نرد على الجميع، ولكن هذا الذي حصل ووقع تاريخيا، أن المعتزلة التزموا القول بأن ينفوا صفات الله تبعا لنفي حلول الحوادث في ذات الله (ﷻ) متبعين للقول بأن إثبات الصفات يستلزم إثبات لذوات متعددة –تعدد القدماء أو تعدد ذوات مختلفة– وبناء على ذلك أنكروا أن يكون القرآن كلام الله (ﷻ)، وقالوا: إنه مخلوق، وسيأتي تفصيل كلامهم إن شاء الله تعالى، والرد على شبهاتهم التي سنعرض لها إن شاء الله بالتفصيل.

المبحـــث الأول

الفلاسفة

ومن وافقهم من متصوف أو متكلم كابن سينا وابن عربي والطـــائي وابـــن سبعين وأمثالهم ممن يقول بقول الصابئة الذي يقولون أن كـــلام الله لـــيس لـــه وجود وخارج عن نفوس العباد، بل هو ما يفيض على النفوس مـــن المعـــاني: إعلاماً وطلباً.

أما من العقل الفعال كما يقوله كثير من المتفلسفة(1). وإما مطلقاً كما يقوله بعض متصوفة الفلاسفة وهذا قول الصائبة ونحوهم(2).

وهؤلاء يقولون الكلام الذي سمعه موسى لم يكن موجداً إلا في نفسه، لـــم يسمع موسى كلاماً خارجاً عن نفسه(3). فـــي ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢﴾ [طه: ١٢].

قالت: وهذه المقالة من أبين الكفر وأظهره، وذلك من وجه منها:

تعطيل صفات الله فلم يؤمنوا أن لله كلاماً أو يتكلم، ويقول، أو أنه ينزل من عنده كلاماً وذكر على أحد من البشر، أنه يكلم أحداً من البشر، بـــل عنـــدهم لا يوصف الله بصفة ثبوتية لا يقولون: أن له علماً، ولا محبه ولا رحمة، ينكرون أن يكون الله اتخذ إبراهيم خليلاً، أو كلم موسى تكليماً، وإنما يوصـــف عنـــدهم بالسلب والنفي(4).

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٢/١٩-٢٠).

(٢) انظر الملل والنحل للشهرستاني (٢/٥٩).

(٣) المصدر السابق (٢/٦١).

(٤) انظر مشكاة الأنوار للغزالي (ص ١٦٠).

إنكار النبوة ومن أثبتها منهم جعلها فيض تفيض على نفس النبي من جنس ما يفيض على سائر النفوس. لكن استعداد النبي (ﷺ) أكمل، بحيث يعلم ما لا يعلمه غيره ويسمع ما لم يسمعه غيره"(١)، والكلام الذي تقوله الأنبياء هو كلامهم وقولهم فهم يكذبون ما هو معلوم بالضرورة من دين المسلمين من كون القرآن منزلاً حقيقية وأن جبريل ينزل بالوحي عليهم وليس فيض وليس من العقل الفعال ولا غير ذلك.

قال الغزالي: "قالوا أنه متكلم، بمعنى أنه يخلق في ذات النبي (عليه السلام) سماع أصوات منظومة، إما في النوم، وإما في اليقظة، ولا يكون لتلك الأصوات وجود من خارج آليته بل في سمع النبي كما يرى النائم أشخاصاً لا وجود لها ولكن تحدث صورها في دماغه، وكذلك يسمع أصواتاً لا وجود لها حتى أن الحاضر عند النائم لا يسمع والنائم قد يسمع ويمد له الصوت الهائل ويزعجه ينتبه خائفاً مذعور، وزعموا أن النبي إذا كان عالي الرتبة في النبوة وينتهي صفاء نفسه إلى أن يرى في اليقظة صوراً عجيبة ويسمع منها أصواتاً منظومة فيحفظها ومن حوله لا يرون ولا يسمعون، وهذا المعنى عندهم برؤية الملائكة وسماع القرآن منهم، ومن ليس بالدرجة العالية في النبوة فلا يرى ذلك إلا في المنام(٢).

أن ما ذكروه فيه رد للشرع كله فإن ما يدركه النائم خيال لا حقيقة له فإذا رددت معرفة النبي لكلام الله تعالى إلى التخيل الذي يشبه أضغاث أحلام فلا تثق به بهذا النبي ولا يكون ذلك علماً.

(١) مجموع الفتاوى. (٢٠/١٢).
(٢) الاقتصاد للغزالي (ص ١٥٥ - ١٢٦).

فلو انتبهنا ملياً إلى الكيفية التي علل بها كل من الفارابي وابن سينا الوحي مثلاً لقلنا في تصور- فلسفي يصعب فيه إثبات الكلام لإله - إن الوحي يتم بالنسبة إلى نفوس خاصة بالترقي إلى العالم المعقول يتوسط المخيلة القوية، دون أن يمكن في الحقيقة القول بفعل إلهي يتوجه إلى البشر بالخطاب: في الحالة الأولى ترخى النفس لإدراك محتوى أزلي لا يتجاوز العقل الفعال فيكون الإدراك الذي تقوم به النبوة عندما يصبح من العسير التخلي عن القول بقدم العالم(١).

عدهم ألفاظ القرآن الكريم وحروفه من أنشأ النبي (ﷺ) لأن العقل الفعال فاض عليه بالمعنى فقط.

موافقتهم للمشركين في الكلام حيث قالوا أن الكلام الذي تقوله الأنبياء هو كلامهم وقولهم وهؤلاء الذين يقولون عن القرآن: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾ هو الوليد بن المغيرة كان من جنسهم؛ كان من المشركين الذين هم صابئون أيضاً(٢).

العقل الفعال عندهم يختلف فمرة يقولون أنه جبريل ومرة غيره وأنه باستطاعتهم أن يصلوا إلى ما وصل إليه الأنبياء ويسمعوا ما سمعه موسى كما سمعه موسى !!.

وقد ضل بكلامهم كثير من المشهودين مثل أبي حامد الغزالي(٣).

---

(١) علم الكلام والفلسفة مقداد منسية (ص ٨٩) نقلاً من دلالة الحائرين لابن رشد ومنهاج الأدلة.

(٢) مجموع الفتاوى لابن يتميه (٢٠/١٢).

(٣) المصدر السابق (٢٠/١٢).

أنهم جعلوا القرآن قول بشر ولكن أفضل من غيره كما أن البشر بعضهم أفضل من بعض كذلك القرآن وأنه فاض على النبي (ﷺ) من المحل الأعلى كما تفيض سائر العلوم على نفوس أهلها[1].

وما من هذا وجه، إلا وهو تكذيب وكفر، وهو مما أملاه عليهم الشيطان من الضلال مما قد ألجائهم إليه ما سموه (علم الحقيقة)، الذي انتهى فيه قائلهم إلى قول "خضنا بحر وقف الأنبياء بساحله".

ولقد رأيت عدم الجدوى من ذكرهم من ضمن الطوائف الخارجة عن أهل الحق في مسألة الكلام ولكني رأيت علماءنا يذكرونهم فأثرت الاقتداء بهم في ذلك.

وحين ذكر شيخ الإسلام بن تيميه قولهم، قال: "وهذا القول أبعد عن الإسلام ممن يقول: القرآن مخلوق"[2].

فنجدهم يقولون: أن الحي يصح منه الأوصاف بالكلام لأنه لو لم يتصف به لاتصف بضده وكثيراً يطردون هذا الدليل في سائر الصفات[3].

---

(١) مجموع الفتاوى لابن يتميه (٢٣/١٢) (٢٤/١٢).

(٢) المصدر السابق (١٦٣/١٢).

(٣) انظر نهاية الأقدام في علم الكلام عبد الكريم الشهرستاني (ص٢٧٠).

المبحــث الثاني

قول المعتزلة:

إن القرآن كلام الله تعالى ووحيه، وهو مخلوق ومحدث، انزلــه الله علـــى نبيه ليكون علماً ودالاً على نبوته، وجعله دلالة لنا على الأحكام لنرجع إليه في الحلال والحرام وهو الذي نسمعه اليوم ونتلوه وإن لم يكن محدثاً من جهـــة الله تعالى فهو مضاف إليه على الحقيقية، كما يضاف ما ننشده اليوم مـــن قـــصيدة أمري القيس على الحقيقة وأن لم يكن محدثاً لها من جهة الأداء.

وأنه حروف وأصوات([1]).

فهي حروف معزيه وأصوات مقطعه وهـــي مخلوقـــه المحـــل حـــادث إذا أوجدها الباري تعالى سميت من المحل وكما وجدت فنبت([2]).

فا المعتزلة زعمت أن معنى أن الله متكلم أنه موجداً لأصوات دالـــة علـــى معان مخصوصة في أجسام مخصوصة.

فنجدهم يعترفون أنه حروف وأصوات ولكنها محدثة([3]).

فكلام الله مخلوق له يخلق لنفسه كلاماً في جسم من الأجسام فيكون متكلماً، وأن لم يكن متكلما قبل أن خلق لنفسه كلاماً، ليت شعري كيف يكـــون المـــتكلم مسموعاً من غيره، ولو كان الأمر على ما قالوه لكان الأمر والنهـــي والـــشرع

---

(١) انظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (ص ٥٢٨).

(٢) نهاية الأقدام (ص ٢٨٨) وانظر التفسير الكبير للرازي (٦١٢/٢٧).

(٣) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي (ص ٢٦٥).

لذلك الجسم الذي خلق فيه الكلام، وذلك خلاف قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠].

وزعموا أن الكلام هو المكتوب في الصحف والمقروء بالألسنة غير الكلام الذي نزل به جبريل على المصطفى(ﷺ).

السلام، بل كان ذلك عرض معلومات، وهذا الذي يتلى ويكتب عرض آخر، وجد متجدداً، وهذا خلاف قول الأمة قبلهم[1].

وقد اختلفوا هل هو جسم أو ليس بجسم وهل يبقى أم لا يبقي إلا أنهم اتفقوا على أنه مخلوق[2].

يقول القاضي عبدالجبار: "والذي يدل على حدوث كلامه الذي ثبت أنه كلام له، أن الكلام على ما قدمناه لا يكون إلا حروف منظومة، وأصواتاً مقطعة، وقد ثبت – فيما هذا حاله – أنه محدث، لجواز العدم على ما بيناه في حدوث الأعراض[3].

وإذا كان كلام الله مخلوقاً، فالقرآن – أيضاً – مخلوق لأنه كلامه.

يعزل القاضي عبدالجبار – وهو يتكلم عند مذاهب الناس في القرآن – "وأما مذهبنا، فهو أن يقول القرآن كلام الله تعالى ووحيه، وهو مخلوق محدث...[4].

---

(١) التبصرة في الدين وتميز الفرق الهالكة للأسفرايني (ص ٦٤).

(٢) لا داعي لذكرها، ولمن أراد الاستزادة المقالات (ج١ ص ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩)، وانظر، المعتزلة (ص ٧٧).

(٣) المغنى في أبواب العدل والتوحيد (٧ / ٨٤).

(٤) شرح الأصول الخمسة (ص ٥٢٨).

ويقول **أن مقوية:** "وقد أطلق مشايخنا كلهم في القرآن أنه مخلوق"([1]).

ويقول المقبلي وهو يعرض اختلاف الناس في الكلام: "والمتكلمون نظروا في كيفيته فاختلفوا..... ورتبت المعتزلة على ذلـك إطـلاق المخلـوق علـى القرآن"([2]).

وقد نحت الاثنا عشرية منحا الجهمية في القول بخلق القرآن، فقد عقد شيخ الشيعة في زمنه المجلي في البحار في كتاب القرآن بـاب بعنـوان: بـاب أن القرآن مخلوق([3]). أورد فيه إحدى عشرة رواية، ومعظم هذه الروايات تخـالف ما ذهب إليه فيقول آية الشيعة محسن الأمين: قالت الشيعة والمعتزلة: القـرآن مخلوق([4]). وهذا بناء على إنكارهم لصفه الكلام وزعمهم أن الله سبحانه يوجـد كلام في بعض مخلوقاته كالشجرة حين كلم موسـى وكجبريـل حـين أنزلـه بالقرآن([5]).

الشبهة الأولى:

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ

---

(١) المحيط بالتكليف (ص ٣٣١).

(٢) العلم الشامخ (ص ١٢٨).

(٣) بحار الأنوار (ص ١٢١/١١٧/٩٢).

(٤) أعيان الشيعة (٤٦١/١).

(٥) المصدر السابق (٤٥٣/١).

وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الرعد:١٦].

قالوا أن القرآن شيء والله (ﷻ) قال: (خالق كل شيء) وهذه لفظة لم تدع شيئاً إلا أدخلته في الخلق ولا يخرج عنها شيء ينسب إلى الشيء لأنهـا لفظـة استقصت الأشياء وأنت عليها([1]). وقد رد عليه عبد العزيز الكناني.

"إن كنت تريد هو شيء إثباتاً للوجود ونفياً للعدم فهو شيء، وإن كنت تريد أن الشيء اسم له وأنه كالأشياء فلا. قال (ﷻ): ﴿ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة النحل: ٤٠].

وقال ﴿ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴿٥﴾ ﴾ [سورة الطلاق: ٥] يعنى القرآن فهذا خبر الله أن القرآن أمره وأن أمره القرآن وأن هذه أسماء شتى لشيء واحد، وهو الـشيء الـذي بـه خلـق الأشياء وهو غير الأشياء وخارج عن الأشياء وهو كلامه، وهو قولـه، وهـو أمره.

وقال تعالى: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأحقاف: ٢٥].

يعنى الريح التي أرسلت على عاد فهل أبقت الريح شيئا لم تدمره لكـن الله قال: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ

---

(١) انظر المعنى في أبواب العدل والتوحيد (٧ / ٩٤) .

﴿ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأحقاف: ٢٥]. فأخذ عنهم أن مساكنهم كانت باقية بعد تدميرهم،ومساكنهم أشياء كثيرة.

وقال (ﷻ):﴿ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الذاريات: ٤٢] وقد أتت الريح على الأرض والجبال والمساكن والشجر وغير ذلك فلم يصر شيئاً منها كالرميم.

وقال تعالى: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة النحل:٢٣].

يعنى بلقيس، فكان يجب أن لا يبقي شيء يقع عليه اسم الشيء إل دخل في هذه اللفظة وأوتيته بلقيس، وقد يعي ملك سليمان وهو مائة ألف ضعف مما أوتيته لم يدخل في هذه اللفظة(1).

الشبهة الثانية:

قوله تعالى: ﴿ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة الزخرف: ١٣] ومعنى جعلناه أي خلقناه(2).

فردوا عليه وقالوا:

---

(١) انظر كتاب الحيدة (٣٣-٤٢).

(٢) انظر المغني في أبواب العدل والتوحيد (ــ ٩٤/٧) والكشاف الزمخشري (٤٧٧/٣).

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [النمل: ٩١].

وقال: ﴿ وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٢٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٤].

وقـــــال: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٠]

وقال: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الانعام: ١٠٠]

وقال: ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الزخرف: ١٩]

وقال: ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٩]

ولا يمكن أن تكون جعل بمعنى خلق في هذه المواضع.

فتكون جعل في كتاب الله (ﷻ) يحتمل معنيين عند العرب، معنـــى خلـــق، ومعنى صيد غير خلق، فلما كان خلق حرفاً محكما لا يحتمل معنى غير الخلق، ولم يكن من صناعة العباد لم يتعبد الله به العباد فيقول لهم: أخلقوا أولا تخلقوا، إذ كان الخلق ليس من صناعة المخلوقين وكان من فعل الخالق (تعالى).

ولما كان جعل على معنى صير لا على- معنى الخلق خاطب الله به عبادة بالأمر والنهي فقال: اجعلوا، ولا تجعلوا.

ولما كان كلمة جعل تحتمل معنيين، معنى خلق ومعني صيد لم يدع الله في ذلك اشتباهاً على خلقه ولبساً على عباده فيلحد الملحدون في ذلك ويشبهون على خلقه حتى جعل على كل كلمة علماً ودليلاً فرق بين الجعل الذي يكون على معنى الخلق، وبين الجعل الذي يكون على معنى النصير.

تكون بمعنى خلق إذا كان في القول المتصل وهو الذي يستغنى المخاطب به والسامع له بكل كلمة عما يعدها نحو قوله (وجعل لكم السمع والأبصار).

وأما جعل الذي بمعنى التصيد الذي هو غير خلق فإن الله انزله من القول الموصل الذي لا يدري المخاطب به حتى تصل الكلمة بالكلمة التي بعدها فيعلم ما أراد بها، وأن تركها مفصله لم يصلها بغيرها من الكلام لم يعقل السامع لها ما أراد بها ولم يفهمها ولم يقف على معنى ما عنى بها حتى يصلها بغيرها ومن ذلك قوله: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة ص:٢٦].

فلو قال: أنا جعلناك، ولم يصلها بما يعدها لم يعقل داود (عليه السلام) ولا أحد ممن سمع الخطاب ما أراد به الله(١).

الشبهة الثالثة:

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [القصص: ٣٠].

---

(١) انظر كتاب الحيدة (ص ٥٨-٦٩).

قال القاضي عبدالجبار "يوجب حدوث النداء لأنه جعل الشجرة ابتداء غايته، وهذا يوجب حدوثه فيها"[1].

ويروى الرازي استدلال المعتزلة بهذه الآية، فيقول "احتجت المعتزلة على قولهم: أن الله تعالى تكلم بكلام يجعله في جسم بقوله تعالى".. من الشجرة) فإن هذا صريح في أن موسى (عليه السلام) سمع النداء من الشجرة والمتكلم بذلك النداء هو الله (سبحانه وتعالى) وهو تعالى منزه أن يكون في جسم[2] فثبت أنه تعالى إنما يتكلم بخلق الكلام في جسم[3].

يقال لهم: إن استدل لكم بهذه الآية على أن الكلام خلقه الله تعالى في الشجرة فسمعه موسى منها باطل، ودليل ذلك أول الآية وأخذها. فأما أولها قوله (فلما نودي من شاطئ الوادي الأيمن.. الآية) والنداء هو الكلام من بعد، فسمع موسى (عليه السلام) النداء من حافة الوادي، ثم قال: (في البقعة المباركة من الشجرة) أي أن النداء كان في البقعة المباركة من عند الشجرة، كما تقول: سمعت كلام زيد من البيت، يكون من البيت ابتداء الغاية، لا أن البيت هو المتكلم ومثل ذلك).

قوله تعالى: (.. من الشجرة.. الآية) لابتداء الغاية لأن الشجرة هي المتكلمة.

وأما آخر الآية: قوله تعالى: (يا موسى أني أنا الله رب العالمين) فإن لو كان مخلوقاً في الشجرة، لكانت هي القائلة لهذا الكلام وهو باطل، وما يؤدي إلى الباطل باطل مثله، ولو كان هذا الكلام بدأ من غير الله لكان قول فرعون:

---

(١) متشابه القرآن (٢/٥٤٥).

(٢) معنى قوله في جسم أي: داخل الشجرة.

(٣) التفسير الكبير للرازي (٢٤/ ٢٤٤).

﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤ ﴾ [النازعات: ٢٤] صدقاً، إذ كان من الكلامين – عندكم – مخلوق قد قاله غير الله، وقد فرقتم بين الكلامين على أصولكم الفاسدة، فزعمتم أن ذلك كلام خلقه الله في الشجرة، وهذا كلام، خلقه فرعون، محرفتهم وبدلتم، واعتقدتم خالقاً غير الله[1].

وأيضاً: فإنه لو سمع موسى (عليه السلام) كلام الله تعالى من غير الله، لما كان له (عليه السلام) فضل علينا، لأننا نسمع كلام الله (عز وجل) من غيره[2].

الشبهة الرابعة:

قال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٥٠ ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

يقول القاضي: "الآية تدل على حدوث القرآن، لأنه تعالى نص على أن الذكر محدث، وبين بغير آية أن الذكر هو القرآن كقوله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ٦٩ ﴾ [يس:٦٩].

وقوله: ﴿ وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٥٠ ﴾ [الأنبياء: ٥٠]. فإذا صح أنه ذكر، ثبت بهذه الآية حدوث الذكر، فقد وجب القول بحدوث القرآن"[3].

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ١٨٦– ١٨٧ والفتاوى ٥٢/٥، ٥٣ الإبانة (٧٥).

(٢) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٥/٣).

(٣) متشابه القرآن ٤٩٦/٢.

ويروى الرازي احتجاج المعتزلة بهذه الآية، فيقول – بعد إيراده الآية – "احتجت المعتزلة على حدوث القرآن بهذا لآية فقالوا: القرآن ذكر، والذكر محدث، فالقرآن ذكر، والذكر محدث، فالقرآن محدث.."[1].

يقال لهم: إن تمسككم بهذه الآية على أن القرآن مخلوق باطل وذلك. أن دلالة الآية على نقيض قولكم، فإنها تدل على أن بعض الذكر محدث، وبعضه ليس بمحدث، وهو ضد قولكم، فأن الحدوث في لغة العرب العام ليس هو الحدوث في اصطلاحكم، فأن العرب يسمون ما تجدد حادثاً وما تقدم على غيره قديماً وإن كان بعد أن لم يكن كقوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [يس: ٣٩] ولما فإن الرسول (ﷺ) لا يعلم ثم علمه الله إياه كان بالنسبة إليه محدثاً وكذلك من سوى لرسول الله (ﷺ) إليهم فهو كقول القائل: حدث اليوم عندنا ضيف، ومعلوم أن الضيف كان موجوداً قبل ذلك، فالحدوث في الآية، إنما هو إشارة إلى أن القرآن محدث الإتيان، لا محدث العين"[2].

يقول القرطبي عند تفسير الآية: المراد به في النزول وتلاوة جبريل على النبي (ﷺ) فانه كان ينزل سورة بعد سورة وآية بعد أية كما كان ينزل الله تعالى في وقت بعد وقت لا أن القرآن مخلوق"[3]. إذا كان الحدوث في الآية المراد به حدوث الإتيان بطل استدلالاتكم بهذا الآية والله أعلم.

---

(١) التفسير الكبير (١٤٠/٢٢).

(٢) محاسن التأويل ٤٢٤٦/١١ مناهج السنة ١٨٩/٢.

(٣) تفسير القرطبي(ص ١١١، ٢٦٧).

الشبهة الخامسة:

يقول القاضي: لو كان الله تعالى متكلماً لذاته، لكان يجب أن يكون قائلاً فيما لم يزل ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١﴾ [نوح: ١] وإن لم يكن قد أرسل واهلك عاد وثمود وإن لم يكن قد اهلك.."(١).

ويروي الرازي هذا الشبهة فيقول:" والشبهة الثانية أنه (ﷻ) أجد بلفظ الماضي في مواضع كثيرة من القرآن كقوله (أنا أرسلنا نوحاً...).. فلو كان هذا الأخبار قديماً أزلياً لكان قد أخبر في الأزل عن شيء مضى قبله، وهذا يقتضى أن يكون الأزل مسبوقاً بغيره، وأن يكون كلام الله تعالى كذباً، ولما كان كل واحد منها محالاً علمنا أن هذا الأخبار يمتنع كونه أزلياً(٢).

يقال لهم:

أولاً: معلوم أنه تعالى كان عالماً في الأزل بأنه سيخلق العالم، ثم لما خلقه صار العلم متعلقاً بأن قد خلقه في الماضي، ولما لم يقتضى هذا حدوث العلم وتغيره فكذلك الخبر(٣). وبهذا يتبين بطلان هذه الشبهة.

ثانياً: على فرض صحة هذه الشبهة فأنها تلزمنا لو قلنا أن كلام الله قديم الآحاد، ونحن لا نقول بذلك، بل نقول كلام الله قديم النوع حادث الآحاد، وبذلك يتبين فساد شبهتكم ؟ وعلى فرض صحتها ؟ فإنها لا تلزمنا والله أعلم.

---

(١) شرح الأصول الخمسة (ص٥٤٤).

(٢) الأربعين للرازي (ص ١٨٣).

(٣) المصدر السابق (ص ٨٤).

الشبهة السادسة:

يقول القاضي: (أن العدم مستحيل على القديم تعالى، فلو كان الكلام قديماً، لما جاز أن يعدم.....)([1]).

ويقول الرازي: "أن كلام الله تعالى لو كان قديماً أزليا لكان باقياً أبديا، لان ما ثبت قدمه يمتنع عدمه، فيكون قوله تعالى لزيد صل صلاة الصبح باقيا بعد أن صلى زيد صلاة الصبح وبعد أن مات، وبعد أن قامت القيامة، وهكذا يكون باقياً أبدً الآباد.. ومعلوم أن ذلك على خلاف المعقول، فإنه تعالى إذا أمر عبده بفعل من ذلك فإذا أني ذلك العبد بذلك الفعل لم يبقى ذلك الأمر متوجها إليه، وإذا أثبت أنذلك الأمر قد زال أنه كان محدثاً لا قديماً([2]).

يقال لهم: لقد أجاب الرازي على هذه الشبهة فقال:والجواب عن هذه الشبهة هو أن قدرته تعالى كانت متعلقة من الأزل إلى الأبد بإيجاد العالم، فلما أوجد العالم لم يبق ذلك التعلق لأن إيجاد الموجود محال، فقد زال هذا التعلق، فلما لم يقتض ذلك حدوث قدرته الله تعالى، فكذلك القول في الكلام([3]). وأما قولهم: أن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم وشفتين و لسان أليس الله قال لسماوات والأرض: ﴿ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [فصلت: ١٠]، أتراها أنها قالت بجوف وشفتين ولسان ؟ وقال الله – جل ثناءه: ﴿ سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

---

(١) شرح الأصول الخمسة (ص ٥٤٩، ٥٥٠).

(٢) الأربعين في أصول الدين (ص ١٨٣).

(٣) المصدر السابق (١٨٤).

أتراها أنها سبحت بجوف وفم شفتين ولسان؟

والجوارح إذا شهدت على الكافر فقالوا: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [فصلت:٢١].

أثراها نطقت بجوف وفم وشفتين ولسان؛ ولكن الله انطقها كيف شاء، فكذلك تكلم الله كيف شاء من غير أن نقول: جوف ولا فم شفتان ولا لسان[١].

وبهذا يتبين بطلان هذه الشبهة والله أعلم.

الرد عليهم عقلا:

يقال لهم: تقولون أن كلام الله مخلوق، فقالوا:أن القرآن مخلوق، قالوا يلزمكم واحدة من ثلاث.

لابد أن تقول أن الله (ﷻ) خلق القرآن (وهو عندي أنا كلامه)[٢]. في نفسه، أو في غيره أو قائماً بذاته ونفسه فرد عليه بشر: أقول أنه مخلوق وأنه خلق كما خلق الأشياء كلها وعندما انقطع.

أوضح عبد العزيز معناه فقال: فإن قال إن الله خلق كلامه في نفسه فهذا محال لأن الله من لا يكون محلاً للحوادث.

وإن قال خلقه في غيره فليزم أن كلامه خلقه الله في غيره هو كلام الله فيكون الشعر والكفر والغش كلام.

وإن قال خلقه قائما بنفسه وذاته لا يمكن لأن الكلام لا يكون إلا من متكلم.

---

(١) انظر التسعينة لابن تيميه (٢/٤٤٨).

(٢) انظر كتاب الحيدة (ص٥٨ -٦٩)

فلما استحالت هذه الجهات تبين أن صفة الله (ﷻ) وصفاتها كلها مخلوقه.

ثانياً: أن الله كان ولا شيء معه وأنه أحدث الأشياء بعد أن لم تكن الأشياء بقدرته، فلم يخل أن يكون أول خلق خلقه الله بقوله أو بإرادة أو بقدره. قـــدرها فأي ذلك يثبت أن هاهنا إرادة ومريد أقول وقائل وقدرة ومقدور كله متقدم قيـــل الخلق وما كان قبل الخلق فليس هو من الخلق في شيء[1].

---

(١) انظر كتاب الحيدة (ص ٨١، ٨٢، ٨٣).

المبحــث الثالث

قول الاتحادية

الاتحادية القائلين بوحدة الوجود هو أن كل كلام في الوجود كلام الله؟ نظمه ونثره وحقه وباطله، كله عين كلام الله تعالى القائم به، وقال قائلهم:

وكل كلام في الوجود كلامه ** سواء علينا نثره ونظامه(1).

وهذا غاية الكفر والإلحاد، إذ مقتضاه أن ما ينطق به المخلوق من الخيــر والشر وفحش القول، بل وأصوات البهائم وسائر الحيوانات كل ذلك صفة للرب تعالى وتقدس وتنزه عن صفات خلقه.

فتأمل كم في مقالة القوم من القبح، وما تسوق إليه من السوء.

ونقول لهم جميعاً رداً على ما احتجوا به بقول إن القرآن مخلوق؛ إنما يدل على قول السلف والأئمة وهو أنه لم يزل متكلماً، إذا شاء وكيف شـــاء، فيــدل على أن نوع الكلام قديم، لا على أنه لم يتكلم بمشيئته وقدرته، وأن الكلام شيء واحد هو قديم.

وكذلك احتجاج الفلاسفة القائلين بقدم العالم على قدم الفاعلية، إنما يدل على مذهب السلف أيضاً، فهؤلاء الذين احتجوا على قدم مفعوله المعين، وهو الفلك، والذين احتجوا على قدم كلامه المعين، كل ما احتجوا به من دليل صحيح فإنه لا يدل على مطلوبهم، بل إنما يدل على مذهب السلف المتبعين للرسل، فتبــين أن الأدلة العقلية الصحيحة من جميع الطوائف إنما تدل على تصديق الرسول، وتحقيق ما أخبر به، لا على خلاف قوله، وهي مــن آيـــات الله الدالـــة علـــى تصديق الأنبياء التي قال الله فيها: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ

---

(1) مجموع الفتاوى (١٢/٥١١).

﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ فصلت: ٥٣، وهي من الميزان الذي أنزله الله تعالى.

وكذلك أدلة المعتزلة الكرامية وغيرهما، والفلاسفة ونحوهم وهاتان الطائفتان كل طائفة تقابل الأخرى بالمشرق والمغرب وكثير من الناس مع هؤلاء تارة ومع الأخرى تارة كالغزالي والرازي والآمدي ونحوهم.

والمقصود هنا بيان الأدلة العقلية على مذهب السلف الذي جاء به الكتاب والسنة.

فنقول، بأنه إذا كان قابلاً للاتصاف بصفة كمال، لزم وجودها له؛ لأن ما كان الرب قابلاً له لم يتوقف وجوده له على غيره، فإن غيره لا يجعله لا متصفاً ولا فاعلاً، بل ذاته وحدها هي الموجبة لما كانت قابلاً له، وإذا كان ذاته هي الموجبة لما هو قابل له وذاته واجبة الوجود كان المقبول واجب الوجود له، وهو إذا قدر أنه قابل للضدين لم يخل من أحدهما؛ لأنه لو خلا من أحدهما لكان وجود أحدهما له متوقفاً على سبب غير ذاته فإن التقدير أنه قابل له ووجود المقبول له ممكن، وقد عرف أنه لا يتوقف على غيره، وإن لم يكن موجداً له، ولم تكن ذاته موجبة له، وإلا امتنع وجوده، فإن غيره لا يجعله موجوداً له، وإذا لم يوجد لا بنفسه ولا بغيره كان ممتنعاً، والتقدير أنه ممكن، فلما كان ممكناً له كان واجباً له.

فهذا تقرير هذه الحجة الدالة على قدم الكلام، وأنه لم يزل متكلماً، وهي تدل أيضاً على قدم جميع صفاته، وأن ذاته القديمة مستلزمة لصفات الكمال الممكنة، فكل صفة كمال لا نقص فيه فإن الرب يتصف بها، واتصافه بها من لوازم ذاته، ولم يزل موصوفاً بصفات الكمال، وذاته هي المستلزمة لصفات كماله، لا يجوز أن يحتاج في ثبوت صفات الكمال له إلى غيره، والكلام صفة

كمال، فإن من يتكلم أكمل ممن لا يتكلم، كما أن من يعلم ويقدر أكمل ممن لا يعلم ولا يقدر، والذي يتكلم بمشيئته وقدرته أكمل ممن لا يتكلم بمشيئته وقدرته، وأكمل ممن تكلم بغير مشيئته وقدرته إن كان ذلك معقولاً.

ويمكن تقريرها على أصول السلف بأن يقال: إما أن يكون قادراً على الكلام أو غير قادر، فإن لم يكن قادراً فهو الأخرس، وإن كان قادراً ولم يتكلم فهو الساكت.

والسكوت والخرس إنما يتصوران إذا تصور الكلام. فالساكت: هو الساكت عن الكلام، والأخرس: هو العاجز عنه، أو الذي حصلت له آفة في محل النطق تمنعه عن الكلام، وحينئذٍ فلا يعرف الساكت والأخرس حتى يعرف الكلام، ولا يعرف الكلام حتى يعرف الساكت والأخرس.

فتبين أنهم لم يتصوروا ما قالوه ولم يثبتوه، بل هم في الكلام يشبهون النصارى في الكلمة، وما قالوه في الأقانيم والتثليث والاتحاد، فإنهم يقولون ما لا يتصورونه، ولا يبينونه، والرسل (عليهم السلام)، إذا أخبروا بشيء ولم نتصوره وجب تصديقهم.

وأما ما يثبت بالعقل فلابد أن يتصوره القائل به وإلا كان قد تكلم بلا علم، فالنصارى تتكلم بلا علم، فكان كلامهم متناقضاً ولم يحصل لهم قول معقول، كذلك ممن تكلم في كلام بلا علم كان كلامه متناقضاً ولم يحصل له قول يعقل، ولهذا كان مما يشنع به على هؤلاء أنهم احتجوا في أصل دينهم ومعرفة حقيقة الكلام كلام الله وكلام جميع الخلق.

وأما قولهم: وجود ما لا يتناهى من الحوادث محال، فهذا بناء على دليلهم الذي استدلوا به على حدوث العالم وحدوث الأجسام، وهو أنها لا تخلو من الحوادث وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث، وهذا الدليل باطل عقلاً وشرعاً،

وهو أصل الكلام الذي ذمه السلف والأئمة، وهذا أصل قول الجهمية نفاة الصفات.

فجميع ما يحتج به الفلاسفة على قدم الفاعلية، إنما يدل على أنه لم يزل فاعلاً لما يشاء، لا يدل على قدم فعل معين، ولا مفعول معين، لا الفلك ولا غيره.

والغلط إنما نشأ من اشتباه النوع الدائم بالعين المعينة، فالفلاسفة، قالوا: ما قاله مقدمهم أرسطو. فكل من قال: إن جنس الحركة حدثت بعد أن لم تكن، فإنه مكابر لعقله. وقالوا: يمتنع ذلك في جنس الحوادث بعد أن لم تكن بلا سبب حادث، والعلم بذلك ضروري.

فيقال لهم: هذا يدل على أنه لم يزل هذا النوع موجوداً، لا يدل على قدم عين حركة الفلك، وكذلك القول في الزمان والجسم، فإن أدلتهم تقتضي أنه لم يزل موجوداً، حركة وقدرها وهو الزمان، وفاعلها هو الذي يسمونه الجسم، لكن لا يقتضي قدم شيء بعينه، فإذا قيل: إن رب العالمين لم يزل متكلماً بمشيئته فاعلاً لما يشاء، كان نوع الفعل لم يزل موجوداً وقدره وهو الزمان موجوداً، لكن أرسطو وأتباعه غلطوا، حيث ظنوا أنه لا زمان إلا قدر حركة الفلك، وأنه لا حركة فوق الفلك ولا قبله، فتعين أن تكون حركته أزلية.

وهذا ضلال منهم عقلاً وشرعاً، فلا دليل يدل على امتناع حركة فوق الفلك، وقبل الفلك، ودليلهم على انشقاق الفلك في غاية الفساد كما قد بسط في موضع آخر، وكذلك قوله: إنه لا بد لكل حركة من محرك غير متحرك، في غاية الفساد كما قد بسط في موضعه.

والمقصود هنا التنبيه على أن خلاصة ما عند هؤلاء الذين يقال: إنهم أئمة المعقولات من أئمة الكلام والفلسفة، إنما يدل على قول السلف وأهل السنة

المتبعين للكتاب والسنة، فالأدلة الصحيحة التي عندهم إنما تدل على هذا، ولكن التبس عليهم الحق بالباطل، كما أن أهل الكتاب لبسوا الحق بالباطل، وما عندهم من الحق موافق ما جاء به الرسول الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، لا يخالف ذلك، فالأدلة السمعية التي جاءت بها الأنبياء لا تتناقض، وكذلك الأدلة الصحيحة العقلية، لا تتناقض السمعيات والعقليات، والله أعلم.

الحرف والصوت

أما مسألة الحرف والصوت: فإن الله تعالى قد تكلم بالقرآن المجيد، وبجميع حروفه، فقال تعالى: (آلم) وقال: (آلمص) كذلك جاء في الحديث: "فينادي يوم القيامة بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب"(١).

وفي الحديث: "لا أقول آلم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف"(٢).

فهؤلاء ما فهموا من كلام الله تعالى إلا ما فهموه من كلام المخلوقين، فقالوا: إن قلنا بالحروف فإن ذلك يؤدي إلى القول بالجوارح واللهوات(٣).

والتحقيق هو أن الله تعالى قد تكلم بالحروف كما يليق بجلاله وعظمته، فإنه قادر والقادر لا يحتاج إلى جوارح، ولا إلى لهوات، وكذلك له صوت كما يليق به ولا ننفي الحرف ولا الصوت(٤).

---

(١) البخاري في صحيحه التوحيد(١٩٤/٨).

(٢) الترمذي فضائل القرآن ح (٢٩١٠).

(٣) جمع لهاة.

(٤) انظر رسالة في إثبات الاستواء والفوقية للجويني (ص ٧٧-٧٨).

فقد قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم ﴾ يس: ٦٥، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ فصلت: ٢١. وبذلك تسبح جميع ما في الكون حتى الجمادات ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ الإسراء: ٤٤.

وثبت في الأثر تسبح الطعام بين يدي رسول الله (ﷺ) وحنين الجذع...... في الحديث المشهور.

فإذا كانت هذه المخلوقات لا تحتاج إلى ما ذكروه من شبهة، فكيف يحتاج إليها الخالق (ﷻ) تعالى عما يقولون علواً كبيراً؟؟..

فهل المنحرفون لهذه الصفات باسم التأويل انقرضوا؟؟

الجواب لا: هم موجودون ويدعون العالم والشباب المسلم لاعتقاداتهم.

المعتزلة في الوقت الحاضر يقولون بقولهم: قال أحدهم بعد أن بين أقوال المخالفين في القرآن: والخلاصة أن الله متكلم؛ لأنه فعل الكلام لا لأنه متكلم لنفسه، فقد أحدث الكلام عندما أراد أن يخاطب العباد، بعد أن خلقهم، فالقرآن الذي هو كلامه حادث وهو حكاية لكلام الله والحكاية ليست المحكي([1]).

---

(١) الطاهر المظفر من فعل الكلام من خلال كتاب الأغاني في أبواب التوحيد للقاضي عبد الجبار ص٧٣ حوليات الجامعة التونسية العدد ٣٢، ١٩٩١م.

القول الحق:

وبعد هذا العرض يتبين لنا مذهب السلف في هذه الصفة وهو:

قول الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة وهو قول أهل السنة والجماعة: أن الكلام صفة من صفات الله غير مخلوق، وأنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء بكلام حقيقي مسموع، بحروف وأصوات لا يشبه أصوات المخلوقين، وأن نوع الكلام قديم، وإن لم يكن الصوت المعين قديماً.

واستدل السلف على مذهبهم بأن الكلام من صفاته أن الله تعالى أضافه إلى نفسه وجعله من فعله، فقال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ النساء: ١٦٤. وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي ﴾ الأعراف: ١٤٣، فأخبر أن تكليمه إياه بعد مجيء موسى (عليه السلام)، وأنه حصل من موسى سؤال، فأجابه الله بوقته، وهذا دليل على أن كلامه متعلق بمشيئته (سبحانه وتعالى).

وقال تعالى: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴾ الكهف: ١٠٩.

وبهذه الأدلة وغيرها استدل الأئمة(١) على إثبات الكلام لله تعالى، وأنه صفة من صفاته، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق.

قال شيخ الإسلام: اتفق السلف – رحمهم الله تعالى – على إثبات صفة الكلام لله (عز وجل) حقيقة على الوجه اللائق به، وأنه يتكلم متى شاء كيف يشاء،

---

(١) كما بينا سابقاً (ص ٣٤).

صفة الكلام لله (ﷻ) حقيقة على الوجه اللائق به، وأنه يتكلم متى شاء كيف يشاء بما يشاء بحرف وصوت يسمع، ومن ذلك ما حكاه الدارمي في معرض إثبات سماع موسى (عليه السلام) كلام الله سبحانه حيث قال: لما أن العلم من جميع العلماء قد أحاط بأنه لم يسمع كلام الله بشر من بني آدم غير موسى[1].

بل رد على من زعم أن كلام الله (ﷻ) خرج من جسم بقوله، وأما قول: من زعم أنه خرج من جسم فهو كافر، فليس يقال ذلك، ولا أدراك سمعت أحد يتفوه به كما ادعيت، غير أنا لا نشك أنه خرج من الله – تبارك وتعالى – دون ما سواه، وذكر الجسم والفم واللسان خرافات وفضول مرفوعة عنا، لم نكلفه في ديننا، ولا يشك أحد أن الكلام يخرج من المتكلم، وأما قولك أنه جزء منه، فهو أيضاً من تلك الفضول، وما رأينا أحد يصفه بالأجزاء والأعضاء، جل عن هذا الوصف[2].

وقال الإمام أبو بكر ابن أبي عاصم: ومما يتفق أهل العلم على أن نسبوه إلى السنة: القرآن كلام الله – تبارك وتعالى – تكلم الله به، ليس بمخلوق[3].

أما الإمام الأجري فقد قال: أما بعد، فإنه من ادعى أنه مسلم، ثم زعم أن الله (ﷻ) لم يكلم موسى فقد كفر، ويستتاب فإن تاب وإلا قتل، قيل: لأنه رد القرآن وجحد ورد السنة وخالف جميع علماء المسلمين وزاغ عن الحق[4].

---

(١) نقض عثمان بن سعيد الدرامي على بشير المريسي (٨٢٤/٢).
(٢) المصدر نفسه (٨٩٧/٢).
(٣) السنة لابن أبي عاصم ٢/ ١٠٢٧، ١٠٢٨.
(٤) الشريعة للأجري (١١٠٧/٣).

وقال الإمام محمد بن أبي زمنين: ومن قول أهل السنة: إن الله (ﷻ) يحاسب عباده يوم القيامة ويسألهم مشافهة، منهم وإليهم[١].

ونقل قوام السنة الأصبهاني في كتاب (الحجة في بيان المحجة) له عقيدة أبي منصور معمر بن أحمد والتي تضمنت مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة والتي جاء في آخرها... فهذه سنة التي اجتمعت عليها الأئمة.. وذكر الأئمة من الصحابة والتابعين، ثم قال: فكل هؤلاء سُرح الدين، وأئمة السنة وأولوا الأمر من العلماء فقد اجتمعوا على جملة هذا الفصل من السنة[٢].

قلت: وعد من تلك الفصول والجمل إثبات صفة الكلام لله (ﷻ)[٣]، وكذا صنع الإمامين الصابوني وعبدالغني المقدسي في اعتقادهما[٤].

وأما الإمام السجزي فقد ألف كتاباً عظيماً في الرد على من أنكر الحرف والصوت حشد فيه الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع، وكذلك المناقشات العقلية واللغوية لإثبات تكلم الله (ﷻ) بحرف وصوت يسمع، ولتفنيد شبه وأباطيل من زعم خلاف ذلك.

ومن ذلك قوله: ولا خلاف بيننا في أن موسى مكلم بلا واسطة[٥]، ومن قوله أيضاً: تقول خصومنا: إن أحد لم يقل إن القرآن كلام الله حرف وصوت

---

(١) أصول السنة لابن أبي زمنيين (ص١١٧) قلت: الأولى ترك مثل هذه التعبيرات وعدم التوسع في الألفاظ لعدم ورودها، ولو قال كما جاء في الأحاديث كفاحاً ليس بينه وبينه ترجمان لكان أولى والله أعلم.

(٢) ١/ (٢٣-٢٤٢) وانظر اجتماع الجيوش لابن القيم (٢٧٦).

(٣) انظر المصدر نفسه (١/٢٣٢، ٢٣١).

(٤) انظر عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني (٢٦٥) والاقتصاد للمقدسي (١٣٠).

(٥) رسالة السجزي إلى أهل زبيد (ص ١٦٦).

كذب وزور، بل السلف كلهم كانوا قائلين بذلك، وإذا أوردنا فيه المسند وقول الصحابة من غير مخالفة وقعت بهم في ذلك صار كالإجماع.

ولم أجد أحد يُعتد به ولا يعرف ببدعة من نفر من ذكر الصوت، إلا البوطي إن صح عنه ذلك، فإن عند أهل مصر رسالة يزعمون أنها عنه فيها: لا أقول إن كلام الله حرف وصوت، ولا أقول إنه ليس بحرف ولا صوت.

وهذا إن صح عنه فليس فيه أكثر من أعلامنا أنه لم يتبين هذه المسألة ولم يقف على الصواب فيها، وأما غيره ممن نفى الحرف والصوت فمبتدع ظاهر البدعة، أو متهم بها مهجور على ما جرى منه والله الموفق للصواب([1]).

وبيّن أن الاتفاق منعقد بين العقلاء – بما فيهم السلف الصالح – على كون الكلام حرفاً وصوتاً ذي تأليف واتساق وأن اختلفت به اللغات إجماع انعقد بين الكافة المسلم والكافر([2]).

وقرر اتفاق اليهود والنصارى مع المسلمين على أن لله كلاماً بحرف وصوت حيث قال: واليهود والنصارى مقرون بأن الله كلاماً ومختلفون في نفي الخلق عنه وإثباته كاختلاف المسلمين ومجمعون على أن الكلام لا يكون إلا حرفاً وصوتاً([3]).

وقال أيضاً: وينبغي أن ينظر في كتب من درج، وأخبار من سلف، هل أحد منهم قال إن الحروف المنسقة التي يتأتى سماعها وفهمها ليست بكلام الله سبحانه على الحقيقة؟ وأن الكلام غيرها ومخالف لها؟ وأنه معنى لا يدري ما

---

(١) رسالة السجزي إلى أهل زبيد (ص ١٦٩).

(٢) المصدر السابق (ص ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٤).

(٣) المصدر نفسه (ص ١٥٢).

هو وغير محتمل شرحاً وتفسيراً؟ فإن جاء ذلك عن أحد من الأوائل والسلف، وأهل النحل قبل مخالفينا الكلابية الأشعرية عذروا في موافقتهم إياه. وإن لم يرد ذلك عمن سلف من القرون والأمم ولا نطق به كتاب منزل، ولا فاه به نبي مرسل، ولا اقتضاه عقل، علم جهل مخالفينا وإبداعهم ولن يقدر أحد في علمي ليراد ذلك عن الأوائل ولا اتخاذهم إياه دينا في أثر أو عقل.

وكل ما يتعلق به مخالفونا في هذا الفصل فمن المجاز، أو بنيات الطرق والعقل والسمع معاً يؤيدان ما نقوله، وبه نطق الكتاب والأثر، وثبت العرف به[1].

وممن صح بالإجماع القاضي أبو يعلي حيث قال: وقد أجمعنا وثبتوا الصفات على أنه تجلى للجبل، وكلم موسى بنفسه[2].

وكذا قال البيهقي: ولأن الأمة اجتمعت مع سائر أهل الملل على أن موسى كان مخصوصاً بفضل كلام الله (ﷻ)، ولو كان إنما سمعه من مخلوق لم يكن له خاصية ولا قربة ولا فضل[3].

وأما حافظ المغرب الإمام ابن عبد البر فقد قال: والذي عليه جماعة أهل السنة – وأن القرآن كلام الله[4].

---

(١) رسالة السجزي إلى أهل زبيد ص ١٤٥.

(٢) إبطال التاؤيلات للقاضي أبي يعلي (٢/٣٣٦).

(٣) شعب الإيمان للبيهقي (١/١٨٨).

(٤) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبدالبر (١/١٠-١١).

وأما الإمام عبدالوهاب بن الحنبلي فقد أبطل قــول الأشــاعرة وأســلافهم الكلابية بأن القرآن عبارة أو حكاية عن كلام الله، منكرين بذلك أن يكون كــلام الله حرفاً وصوتاً يسمع حيث قال:... ثم ذكروا العبارة والحكاية، ما جــاء بــه شرع، ولا نطق به سلف من الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين؟! فكيف يحــل لمسلم أن يقول مثل هذا القول.. فقد خالف الأشاعرة ببــدعتهم نــص الكتــاب وصريح السنة، وأدلة العقول، وإجماع أهل الملــل مــن اليهــود والنــصارى، والزيادة على كفار قريش في تكذيب القران[1].

وممن صرح بحكاية الإجماع أيضاً شيخ الشافعية باليمن الإمام العمرانــي حيث قال في إلزاماته الأشاعرة القائلين بأن كلام الله معنى قائم بــالنفس وإنمــا القرآن عبارة عنه:... ومنها أن موسى يخرج عن أن يسمى كليم الله، وهذا ترك لما ورد به نص القرآن وأجمع عليه المسلمون[2].

وبين الموفق ابن قدامة مذهب أهل السنة (رحمهم الله) في كلام الله بقولــه: ومــا ذكر من الأخبار الدالة على نسبية الصوت إلى القارئ فليس هذا محل النــزاع، وإنما النزاع في أن الله تعالى تكلم بصوت وحرف أم لا؟ ومذهب أهــل الــسنة إتباع ما ورد في الكتاب والسنة، وقد بينا بالأدلة القاطعة أن هذا القــرآن الــذي عندنا هو كلام الله، وأنه مسموع مقروء متلو محفوظ مكتوب وكيفما قرئ وتلى وسمع وحفظ فهو القرآن العظيم[3].

---

(١) الرسالة الواضحة في الرد على الأشاعرة، لابن الحنبلي (٢/٤٨٠، ٤٨١).

(٢) الانتصار، للعمراني (٢/٥٩١).

(٣) الصراط المستقيم، لابن قدامة المقدسي (ص ٥٠).

وقال أيضاً: وقالوا أيضاً: قد قلتم إن الله يتكلم بصوت، ولم يأت به كتـــاب ولا سنة، قلنا: بل قد ورد به الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق[1].

وهكذا اتفقت كلمة أهل العلم واجتمعت على إثبات صـــفة الكـــلام لله (ﷻ) حقيقة بحرف وصوت يسمع على ما يليق بجلاله وعظمتـــه، وذلـــك بمـــشيئته وقدرته، ومن ثم يتبين بطلان قول المخالفين لأهل الحق في ذلك.

(١) حكاية المناظرة، لابن قدامة (ص ٤٠).

الخاتمة

الحمد لله وبعد.. فهذا ما يسر الله لي كتابته، ولي في آخره دعـوة ورجـاء ودعاء..

أما الدعوة: إلى أتباع كل مذهب أن يحققوا مذهبهم العقدي ويتحروا فيـه، وأن لا يجدوا في أنفسهم حرجاً، فإذا استبان لهم الصواب فعليهم إتباعه، ولـيس في ذلك غضاضة بل الغضاضة أن يدرك الإنسان الحق فيعرض عنه.

وبهذا البحث تم بحمد الله وتوفيقه ما عزمت عليه من بيان حقيقة كـلام الله وإيضاح المنهج السلفي، راجية من الله أن يكون هذا العمل خالـصاً لوجـه الله الكريم، وافياً بالغرض من كتابته، موضحاً لما يهم، مبيناً لما أغلق يهدي بـه الله من شاء من عباده.

أما الرجاء: فأوجهه إلى كل من وجد في بحثي نقـصاً أن لا يكتمـه، وأن يكتب لي ما يراه صواباً. فالمسلم مرآه أخيه المسلم، والنـصيحة واجبـة بـين المؤمنين إذا رأوا ما يوجب ذلك. ولهم من الله الأجر والثواب.

أما الدعاء: فإن يجعل الله عملي خالصاً لوجهه وأن ينفع به كاتبه وقارئـه ومن بلغه وسائر المسلمين إنه سميع مجيب.

وأخيراً.. فهذا ما كتب فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان غير ذلك فمنـي ومن الشيطان، واستغفر الله العظيم، ومن كل ذنب إنه غفور رحيم..

الدكتورة

سعاد بنت محمد السويد

المصادر والمراجع

١. الإبانة الصغرى (الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة) الإمام عبدالله حمد بن بطة العكبري ٣٨٧، دار أطلس للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠١م.

٢. الإبانة في أصول الديانة للإمام أبي الحسن الأشعري، ط١، ١٩٩١، دار القادري للطباعة والنشر، بيروت.

٣. إبطال التأويلات لأبي يعلي تحقيق محمد الحمود النجدي، مكتبة دار الإمام الذهبي، ط١، ١٤١٠هـ.

٤. ابن ماجه تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، طبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٧٣هـ.

٥. اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية لابن القيم الجوزية، تحقيق عواد العتيبي، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.

٦. الأربعين في أصول الدين لأبي حامد الغزالي، ط١، ١٩٧٨م، منشورات دار الأثات الجديدة، بيروت.

٧. الأربعين في أصول الدين لمحمد بن عمر الرازي، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٣٥٣هـ.

٨. إشارات المرام بين عبارات الإمام تأليف كمال الدين أحمد الباضي تحقيق يوسف عبدالرازق، مكتبة مصطفى اليأس، ط١، ١٩٤٩م.

٩. أصول السنة لابن أبي زمنين.

١٠. أطلس الفرق والمذاهب الإسلامية أماكن نشوئها وانتشارها ونبذة عن فكرها وتاريخها، د. شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٩م.

١١. الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة، للإمام البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٢. الاقتصاد في الاعتقاد لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي، قدم له وعلق عليه وشرحه د. علي بوسليم، دار مكتبة الهلال، توفي ٥٠٥، طبعة ١، ١٩٩٣، بيروت.
١٣. الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ليحي بن أبي الخير العمراني تحقيق سعود الخلف، أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ.
١٤. البخاري، فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب.
١٥. تحفة الأحوذي لشرح جامع الترمذي للمباركفوري، مطبعة الفيحاء الجديدة،... عبد الرحمن العثمان، مطبعة المدني، ط٢، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
١٦. التسعينة لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن غيه تحقيق محمد العجلان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.
١٧. التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي، تحقيق دار إحياء التراث، بيروت، ط٢، ١٩٩٧.
١٨. تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل للقاضي أبي بكر الباقلاني، ت عماد الدين حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤٠٧هـ بيروت.
١٩. جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، دار الجوزي، الدمام، ط١، ١٤١٤هـ.

٢٠. حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة للموفق ابن قدامة ٦٢٠ تحقيق عبدالله الجديع، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

٢١. الحيرة والمناظرة الكبرى بين أهل السنة والفرق الضالة، الإمام عبدالعزيز الكناني المتوفى ٢٤٠، تحقيق: علي الفقيهي، دار الفتح، الشارقة، ط١، ١٩٩٣م.

٢٢. رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، لأبي نصر عبيد الله بن سعيد الوابلي السجزي، تحقيق محمد باكريه، ط١، ١٤١٤هـ، الراية، الرياض.

٢٣. رسالة في أن القرآن غير مخلوق للإمام الحافظ إبراهيم بن إسحاق الحربي، ويليه رسالة إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل إلى الخليفة المتوسل في مسألة القرآن، تحقيق: علي الشبل، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض.

٢٤. السنة لابن أبي عاصم، تحقيق باسم الجوابرة، دار الصميعي، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

٢٥. شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار بن أحمد، حققه وقدم له د. عبدالكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٩٦٥م.

٢٦. شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار الهمزاني، مكتبة وهبة، ط١، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م، مطبعة الاستقلال الكبرى.

٢٧. شرح العقيدة الطحاوية، لأبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي، الشرح ليوسف الملطي، ط٣، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر.

٢٨. شرح العقيدة الطحاوية، لعلي بن أبي العز الدمشقي، تحقيق: عبدالله التركي وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٣هـ.

٢٩. شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد بن صالح العثيمين اعتنى بــه ســعد بن فواز العميل، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٢، ١٤١٥هـ.
٣٠. شرح الفلسفة في العقيدة الإسلامية، د. عبدالملك عبد الــرحمن الــسعدي، حقوق الطبع، بغداد، مكتبة الأنبار، ط١، ١٩٨٨م.
٣١. الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة للإمام الحنبلي أبي عبدالله بــن عبدالله بن بطة العكبري، دار ابن حزم، ط١، ١٤٣٠هـ (٢٠١٠م).
٣٢. الشريعة للأجري، تحقيق عبدالله الدميجي، دار الــوطن، الريــاض، ط١، ١٤١٨هـ.
٣٣. شعب الإيمان للبيهقي، تحقيق محمد السعيد البسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.
٣٤. الشعر والشعراء لابن قتيبة، ط٣، ١٩٧٧م، ت: أحمد شاكر.
٣٥. صحيح مسلم لشرح النووي، ط٢، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، الناشــر إحيــاء التراث العربي، بيروت.
٣٦. الصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم لابن قدامــة، تحقيــق محمــد الخميس، مكتبة الفرقان، عجمان، الإمارات، ط١، ١٤١٩هـ.
٣٧. عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني، تحقيــق ناصــر الجــديع، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.
٣٨. العلم الشامخ في تفضيل الحق على الإباء والمشائخ، صــالح بــن ســيد المقبلي اليماني، ط١، مصر ١٣٢٨هـ.
٣٩. علم الكلام والفلسفة، مقداد عرفه منسيه، دار الجنوب للنشر، تونس.

٤٠. العين والأثر في عقائد أهل الأثر للإمام عبدالباقي الحنبلي ت ١٠٧١هـ، تحقيق عصام رواسي قلعجي، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١ (١٤٠٧هـ).

٤١. كتاب أصول الدين، تأليف الإمام أبي منصور عبدالقاهر بن طاهر التميمي البغدادي، المتوفى ٤٢٩، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة ثالثة، ١٩٨١م.

٤٢. كتاب التوحيد للإمام أبي منصور الماتريدي، حققه وقدم له: د. فتح الله خليف، الناشر دار الجامعات المصرية.

٤٣. كتاب مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين تأليف الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتوفى ٣٢٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، عني بتصحيحه هلموت ريتر، طبعة٣.

٤٤. لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة لعبد الملك الجو يني أبو المعالي تقديم وتحقيق وفوقية حسن محمود، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٦٥م.

٤٥. مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري من إملاء أبي بكر محمد بن الحسين بن فورك، تحقيق: دانيال اميحاريه، دار المشرق، بيروت.

٤٦. مسألة خلق القرآن وموقف علماء القيروان منها ودورهم في الذي عن مذهب السلف فيها، تأليف فهد الرومي، مكتبة التوبة، ط١، ١٤١٧هـ.

٤٧. المغني في أبواب العدل والتوحيد، عبد الجبار بن أحمد الهزاني المعتزلي، دار الثقافة والإرشاد، مطبعة دار الكتب، ط١، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

٤٨. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين للأشـــعري، دار إحيـــاء التـــراث، بيروت، (٨٤ه-٥٨١).
٤٩. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ابن الحـــسن الأشـــعري، مكتبـــة النهضة المصرية، ط١، ١٣٦٩هـ.
٥٠. الملل والنحل، محمد الشهرستاني، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
٥١. منهاج السنة النبوي في نقض كلام الشيعة القدرية لابـــن تيميـــه، مكتبـــة العصرية، القاهرة، مطبعة المديني ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.
٥٢. المواقف في علم الكلام بتدقيق د. عبدالرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، طبعة١، ١٤١٦هـ.
٥٣. موسوعة الأسماء والصفات للأئمة الأعلام البيهقي، ابن تيمية، ابن القـــيم، ابن عتبة، إعداد عادل بن سعد، عمرو محروس، دار الكتـــب العلميـــة، بيروت لبنان ط١، ٢٠٠٦م.

فهرس الموضوعات



